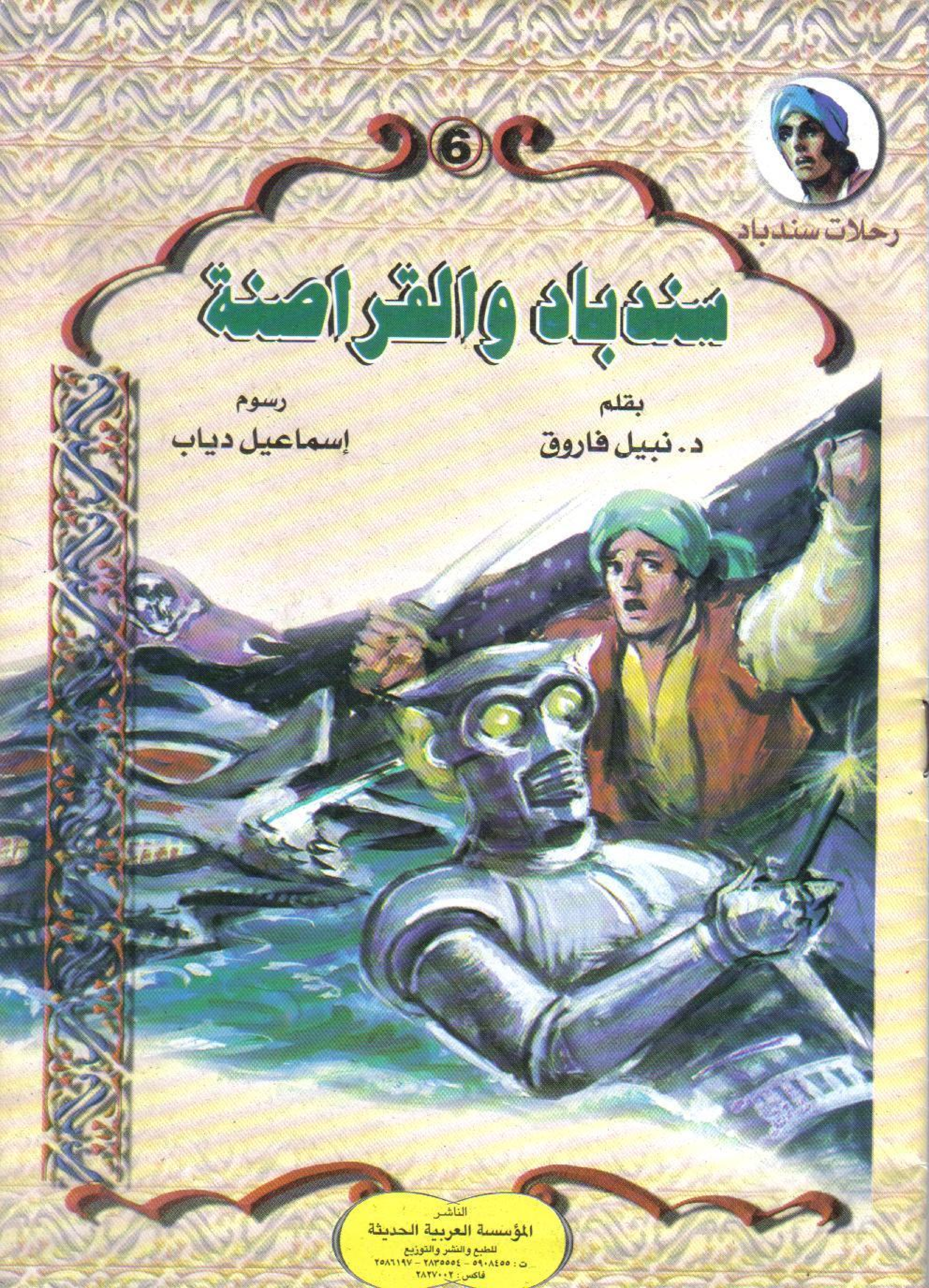


6
رحلات سندباد
سندباد والقراصنة
بقلم
د. نبيل فاروق
رسوم
إسماعيل دياب
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢



سندباد والقراصنة

بقلم
د. نبيل فاروق

رسوم
إسماعيل دياب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢



انْفَرَدَتْ أشْرِعَةُ سفينَةِ (سِنْدباد) ، واستعدَّتْ لِلإِقْلاع ، ورئيسُ بحَّارتِها (صَفْوان) يقول فى قوّةٍ وحماسٍ :

- هيَّا يا رجالُ .. سنَنْطلقُ فى رحْلَةٍ جَديدةٍ منْ رحْلاتِ القُبطانِ (سِنْدِباد) .

انْطلَقتِ السَّفينةُ مُبْتَعدةً عنِ الميناءِ ، يقودُها (سندباد) ، ولم تَمضِ ساعَةٌ أوْ يزيدُ ، حتَّى أحاطَ بها البَحْرُ من كُلِّ جانِبٍ ، وقال (سِندباد) فى اسْتِمتَاع :

- لسْتُ أدْرى كيفَ تصوَّرتَ يَوْمًا أنَّه بإمْكانى التَّوقُّفُ عنْ هذه الرِّحْلاتِ الْبَحْريَّةِ ! إنَّنى أكْتَشِفُ فى كلِّ مَرَّةٍ أنَّ عِشْقَ البَحْرِ يَسْرى فى عُروقى ، ويَجْرِى فيها مَجْرَى الدَّمِ .

ابتسمَ (صَفْوانُ) ، وهو يقولُ :

- ربَّما يعودُ قرارُكَ هذا إلى ما نُلاقيه مِنْ أهْوالٍ ، فى رِحْلاتِكَ البَحْريَّةِ هذه !

ضَحِكَ (سندباد) ، قائِلاً :

- لستُ أَعْتَقِدُ هذا يا صديقى ، فَمُنْذُ عودَتى إلى رِحْلاتى ، وَاجَهَتْنَا أهوالُ أكْثرُ ، ولكنَّ هذا لم يَمْنَعْنَا مِنَ الإقْلاعِ فى رِحْلاتٍ أُخْرى .

تنهَّد (صفوان) ، قائلاً فى حَسْرَةٍ مُصْطَنَعةٍ :

- لِلأَسفِ .



قَهْقَهَ الاثْنانِ ضاحِكَيْنِ ، وراحَا يتبادلانِ الأحَادِيثَ والمُحَاوَرَاتِ ، والسَّفينةُ تَشُقُّ البَحْرَ ، وتُوَاصِلِ رِحْلَتَها الجديدَةَ ، و ...

« سَفينَةٌ ياقُبطان .. » ..

أطْلَقَ مُرَاقِبُ السَّارى هذه الصَّيْحَةَ ، التى انْتَزَعتْ (سندبادَ) منْ حَدِيثِه مع (صَفْوان) ، وجعَلَتْهُ يُوكِلُ أَمْرَ عجلةِ الدَّفَّةِ إلى أحدِ رجالهِ ، ويُسْرعُ مع (صفوان) إلى حاجزِ السَّفِينَةِ ، وكلٌّ منْهما يحملُ مِنْظَارَهُ المقرِّبَ ، وقال (صفوان) فى اهْتمام :

- إنَّها سَفِينَةٌ بالفعْلِ ، ولكنَّها تَبْدُو خاليةً ، وكأنَّما اخْتَفى جَميعُ مَنْ كانوا على مَتْنِها .

أجابَهُ (سندباد) ، وهو يراقبُ السَّفينةَ بِدَوْرِهِ :

- لا تتسرَّعْ فى القوْل يارَجُلُ .. ربَّما ...

قبلَ أنْ يتمَّ عِبارَتَهُ ، مالَتِ السَّفِينَةُ الأُخْرى إلى الخَلْفِ بَغْتَةً ، وارْتفعَتْ مقدِّمَتُها على نحوٍ عَجيبٍ ، ثمَّ غاصَتْ مُؤَخِّرَتُها فى البحْر ، فهتف (صَفْوان) :

- ربَّاهُ ! إنها تَغْرَقُ يا (سندباد) .

انْعقَدَ حاجِبَا (سندباد) دُونَ أنْ ينْبِسَ ببنْتِ شَفَةٍ ، وهو يُراقبُ عمليَّةَ غَرَقِ السَّفينةِ ، التى بَدتْ له أسْرَعَ ممَّا يَنْبَغى ، فقدْ غاصَتْ مُؤَخِّرَتُها فى اتِّجاهٍ شِبْهِ رَأسِيٍّ ، وارْتفعَتْ مُقدِّمتُها على نَحوٍ مُخيفٍ ، وهى تَغُوصُ فى البَحْر ، وتغُوصُ ، وتغُوصُ ..



وأشارَ (صفوان) بيَدِهِ إلى نُقطةٍ قريبَةٍ منها ، هاتِفًا :

- انْظُرْ يا (سندباد) .. رجلٌ فى البَحْرِ .

تطلَّعَ (سندباد) بسُرْعة إلى الرَّجُلِ ، الذى يُحَاولُ السِّباحَةَ فى قُوَّةٍ ، مبتعدًا عن السَّفينَةِ ، التى تَجْذِبُهُ معها إلى الأَعْماق ، ثمَّ التفتَ هاتفًا :

- أَلْقُوا إِلَيْه حَبْلاً يارجالُ .

ولمْ يكدِ الرَّجُلُ يلْمَحُ الحَبْلَ ، الذى يُلْقُونَه إلَيْه ، حتَّى تشبَّثَ به فى قُوَّة ، فجذبَهُ الرِّجالُ إلى السَّفينةِ ، ولمْ يكدْ يجدُ نَفْسَه على سَطْحها ، حتَّى اسْتَنْشَقَ الهواءَ فى قوَّةٍ ، وهتفَ فى انْفعالٍ شديدٍ :

- حَمْدًا للَّه .. حَمْدًا للَّه .. لم أتصوَّرْ أنَّنى سأَنْجُو أبدًا .

ثم الْتفتَ إلى (سندباد) ولوَّحَ بيدِهِ ، هاتفًا :

- لا تتوقَّفوا هنا .. ابْتعِدوا .. ابْتعِدوا باللَّه عَلَيْكم ، قبلَ أنْ يظْفر بكمْ هؤلاءِ القَراصِنَةُ .

بدَتْ عليهمُ الدَّهشَةُ ، وسألَه (سندباد) :

- أىّ قراصِنةٍ يا رجُلُ ؟



ارْتَجفَ الرَّجلُ ، وهو يُجيبُ :

ـ قراصِنَةُ اللَّيْلِ .. لن يُمْكنَكُمْ مقاومَتُهُمْ .. إنهمْ ينقضُّون فَجْأَةً مِنْ قلبِ اللَّيْلِ ، وعُيُونُهمْ تُضِيءُ بلا شُمُوعٍ ، والسُّيُوفُ تتحطَّمُ على صُدُورِهمْ ، وهمْ يأْسِرُون كُلَّ مَنْ يقعُ في قَبْضَتِهِمْ ، ويحملُونَهُ إلى سَفينَتِهِم العَجيبةِ ، أمَّا مَنْ يقاومُهُمْ ، فَيَقْتُلُونَه بلا شَفَقةٍ أوْ رَحْمةٍ .

تبـادلَ (سندباد) و (صـفـوان) نظْرَةَ دَهْشَـةٍ ، قـبْلَ أنْ يميلَ (سندباد) على الرَّجُل ، ويَسْأَلُه :

ـ هل يمكِنُك أنْ تصِفَ لى ما حَدثَ بتفاصِيلَ أكْثَرَ ؟

ازْدردَ الرَّجلُ لُعَابَهُ وهو يَرتجفُ ، قبْلَ أن يقولَ :

ـ كان كلُّ شيْءٍ يسيرُ على مَا يُرامُ ، حتَّى هبَط اللَّيْلُ ، وغابَتِ الشَّمْسُ فى الأُفُقِ ، لحظَتها رأَيْنا ذلكَ الضَّوْءَ .

سألهُ (صفوان) فى اهْتِمامٍ : ـ أىَّ ضَوْءٍ ؟

ارْتجفَ صَوْتُ الرَّجل أكثَرَ ، وهو يُجيبُ :

ـ ضوءٌ أخْضَرَ عَجيبٌ ، برزَ منْ قلبِ الْبَحرِ ، واتَّجهَ نَحْوَنا بُسْرعَةٍ مُخِيفةٍ وقبْلَ أنْ نتَّخذَ خُطْوَةً واحِدةً لِتفادِيهِ ، توقَّفَ على قَيْدِ أمتارٍ قليلةٍ منَّا ، وقفَزَ مِنْه هؤُلاءِ القراصِنةُ بهَيْئَتهِمُ الْبَشِعَةِ ، إلى سطْحِ سفينَتِنا ، وحاولْنَا التَّصَدِّى لهمْ ، ولكنَّهمْ كانوا يحْملُون عِصِيًّا قصيرةً ، ذاتَ رُءُوسٍ مُتألِّقَةٍ ، إذا ما صَوَّبُوها إلى أحَدِ الرِّجالِ ، انْطَلَقَتْ مِنْ رُءُوسِها صَوَاعِقُ صَغيرَةٌ ، تصْعَقُ كلَّ منْ تَلْمِسُهُ ، وتُسْقِطُه فاقِدَ الوعْىِ ..

وحاولَ أنْ يَزدردَ لُعابَهُ مَرَّة أُخْرَى فى صُعُوبة ، قبلَ أنْ يَسْتطرِدَ :

- رأيتُ الجميعَ يتساقَطُون حَوْلى كالذُّبابِ ، وأدركْتُ أنَّهُ لا أَمَلَ لى فى المقاوَمَةِ ، فاخْتفَيْتُ داخلَ أحدِ البراميل الفارغةِ ، ورُحْت أُراقِبُ ما يَحدثُ حَوْلى ، وأنا أرْتجفُ رُعْبًا وهَلَعًا .

وأطلَّ الذُّعْرُ من عَيْنيه ، وهو يتابع :

- وعَبْرَ شقٍّ صغير فى جدارِ البَرْميلِ ، رأيْتُ هؤُلاءِ القراصِنَةَ يَجذبونَ رِفاقِى الفاقِدى الوَعْى ، ويُلْقونَهُم إلى سَفينَتِهِمُ المعْدِنِيَّةِ المخيفةِ ، ثم هبطَ أحَدُهمْ إلى الْقاعِ ، وأَفْسَدَ السَّفِينَةَ ، قبْلَ أنْ يَعودَ إلى سَفينتِهِ التى غادَرتِ المكانَ فى سُرْعة ، معَ شُرُوق الشَّمْس ، فى حينَ راحتِ السَّفينَةُ تغرَقُ وتغْرَقُ ، دُونَ أنْ أجْرُؤَ على مُغادَرَةِ البرْميلِ ، حتى اضْطُرِرْتُ إلى هذا ، بعد غوصِ مُؤَخِّرَتِها فى البْحر .

ثم وضعَ يَدهُ على صدْره ، وهو يلْهثُ مِنْ فَرْطِ الانفعال ، مُضيفًا :

- لقدْ كادَ قلْبى يتوقَّفُ ، عنْدما الْتفَّ ذلك الحبْلُ الرَّفيعُ حَوْلَ البَرْميل ، وكادَ يقْلِبُه ، ويكشِفُ وجُودِى دَاخِلَهُ .

سأله (سندباد) فى اهتِمام :

- أىُّ خيْطٍ هذَا ؟

أجابَهُ الرجلُ ، والخوْفُ يُطِلُّ منْ عَيْنيه فى وُضُوح :

- الخيطُ الذى يصِلُ هؤُلاء القَراصِنَةَ بَسفِينَتِهِمْ .



لمْ يكُنْ هذا التفسيرُ مفهومًا ، إلاَّ أنَّ الرَّجلَ لمْ يكنْ يمتلِكُ المزيدَ منَ المعلوماتِ ، لذا فقدِ اكْتَفى (سندباد) بما سَمِعَه ، وأوْصَى رجالَهُ برِعَايةِ الرَّجُل ، الذى كرَّرَ فى اضْطِرابٍ شديد :



- لا تتوقَّفوا هُنا .. ابْتعِدوا بأقْصى سُرْعة .. ابْتعِدوا .. ابْتعِدوا .

مالَ (صفوان) على (سندباد) قائلاً فى توَتُّرٍ :

- هلْ تعتقدُ أنَّ روايَتَهُ صحيحَةٌ يا (سندباد) ؟

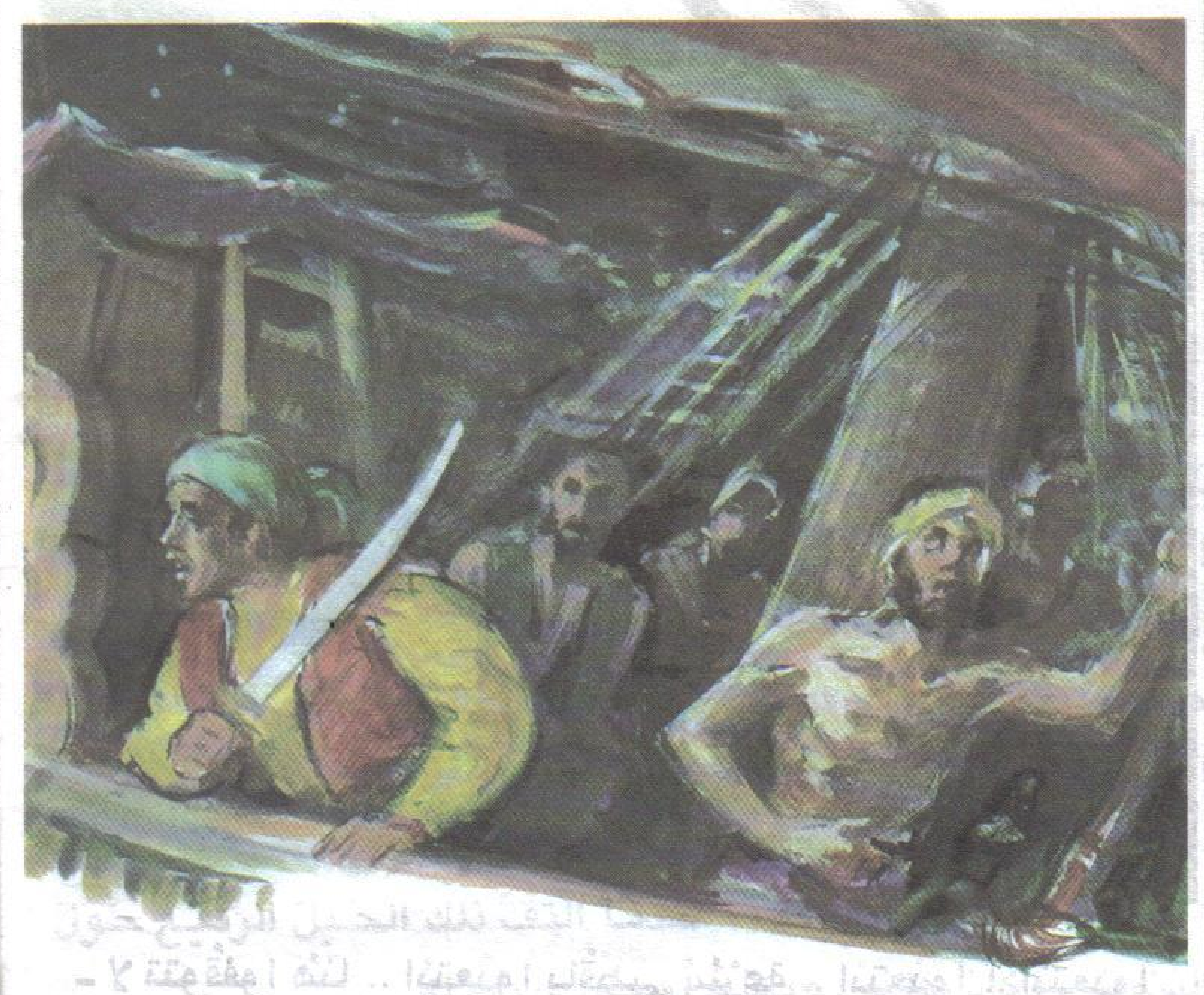
التقطَ (سندباد) نَفَسًا عميقًا ، قبلَ أنْ يُجيبَ :

- إنَّهُ يؤْمنُ بكل ما قاله على الأقَلِّ يا (صفوان) ، وأَعْتقِدُ أنَّنا سنتبعُ نصيحَتَهُ على الفَوْرِ .

وصَمتَ لَحْظةً ، قبلَ أنْ يُضيفَ فى حزْمٍ :

- وسنَبْتعِدُ عنْ هُنا بأقْصَى سُرْعة .

انْطلقتِ السّفينةُ بأقصَى سُرْعة بالْفِعْلِ ، وراحتْ تبتَعِدُ وتبتعِدُ عنْ ذلكَ المكانِ ، الذى غرِقَتْ فيه السَّفينَةُ الأُخرَى ، و (سندباد) يقودُها فى حَذَرٍ ، وعقلُهُ يراجِعُ كلَّ ما سَمِعَه ، ويبْحثُ عن تفْسيرٍ مَنْطقِيٍّ له ، فى حينَ راحَ (صفوانُ) يُلْقى تعليمَاتِهِ للْبَحَّارةِ هُنا وهُناكَ ، كما يقْتَضِى عَمَلُه ..



وسارَ كلُّ شيءٍ على ما يُرَامُ ، حتَّى غابَتِ الشَّمْسُ فى الأُفُقِ ، فقالَ (صفوان) فى قَلَقٍ واضحٍ ، وتوتُّرٍ ملْحوظ :

- كلُّ الأَحداثِ بدأَتْ بعدَ غُرُوبِ الشَّمْس يا (سندباد) .

أجابُه (سندباد) فى حَزْم :

ليسَ هُناكَ ما يُحتِّم التَّكْرارَ يا رجلُ .

قال (صفوان) :

- هذا صحيحٌ ، ولكنَّنا لا نَستطيعُ مُواصلَةَ السَّيْرِ طُوالَ اللَّيل أيضًا ، فالرِّجالُ مُتعَبُون ، والإرْهاقُ يأخُذُ مِنْهُمْ مأخَذَهُ ، ويحتاجون إلى الرَّاحةِ .

صمتَ (سندباد) لحظةً ، قبْلَ أنْ يقولَ :

- فليكُنْ يا (صفوان) .. ما يمكنُ أنْ يحدُثَ هنا ، يُمْكنُ أنْ يحدُثَ فى أىِّ مكانٍ آخَرَ .. ألْقِ الْمِرْسَاةَ ، وسنقْضِى ليلَتَنا هُنا .



توقَّفتِ السَّفينةُ ، وأحاطَ بها الظَّلامُ تدْريجيًا ، وبَدا الرُّعْبُ واضِحًا على الرَّجُل الذى تمَّ إنْقَاذُهُ ، وهو يُحَدِّقُ فى الْبحْر ، مُحاولاً اخْتِراقَ حُجُبِ الظَّلام بَبصَرِه ، وهو يقول :

- كلُّ شىْءٍ أتى معَ حُلُولِ الظَّلام .. كلُّ شىْء .

قالَ لهُ (صفوان) فى صَرَامَةٍ :

- اهدأْ يا رَجُلُ .. إنَكَ تُثيرُ تَوتُّرَ البَحَّارةِ بلا مُبَرِّرٍ .

شهقَ الرَّجلُ بَغْتَةً ، وتراجعَ كالمصْعُوقِ ، مُشيرًا إلى البحر ، وهوَ يهْتِفُ بصَوْتٍ مُخْتَنِقٍ :

- بلا مُبرِّر ؟! ماذا تُسَمِّى هذا إذَنْ ؟

الْتفتَ الجميعُ إلى حيثُ يُشيرُ ، وانْعقَد حاجبا (سندباد) فى شِدَّةٍ ، فى حينَ هَتفَ (صفوان) فى ارْتِياعٍ :

- ربَّاهُ ! إنهم هم .

ومِنْ بعيد ، كانتْ هنَاكَ دائِرتَان مِنَ الضَّوْءِ الأخْضَرِ ، تنْقضَّان على السَّفِينةِ بِسُرعةٍ خُرافِيَّةٍ ، فصاحَ (سندباد) :

- استعِدُّوا يا رِجالُ .. سنُقاتِلُ حتى آخرِ قَطْرَةِ دَمٍ .



سَرَتْ مَوْجَةٌ عارِمَةٌ مِنَ التَّوَتُّرِ والانْفِعَالِ فى الْمكَان ، وصرَخ الرَّجلُ فى رُعبٍ هَائِلٍ ، وهوَ يَعْدُو فى كلِّ مكانٍ ، كمنْ أصَابَتْهُ لَوْثَةٌ عَقْلِيَّةٌ :

- القراصِنَةُ .. القراصِنةُ .. لقدْ عَادوا .

توقَّفَتْ سفينَةُ القَراصِنَةِ المعْدِنيَّةِ ، على مَسَافةِ أمْتَارٍ قليلَةٍ منْ سَفينَةِ (سندباد) ، وقفزَ منها أرْبَعَةٌ منَ الرِّجَالِ ، داخِلَ درُوعٍ مَعْدِنِيةٍ قَوِيَّةٍ ، ويَشعُّ من عُيُونهمْ ضَوْءٌ أصْفَرُ مُخيفٌ ، وكلٌّ منهمْ يحملُ عصاهُ الصَّغيرةَ ، ذاتَ الرَّأْسِ المعْدِنِيِّ المتألِّقِ ، فانْقَضَّ أحدُ البحَّارةِ على واحدٍ مِنهم ، وهوَى بسَيْفِه على صدْرِهِ ، قائِلاً :

- إنَّك لنْ تُخيفَنى .

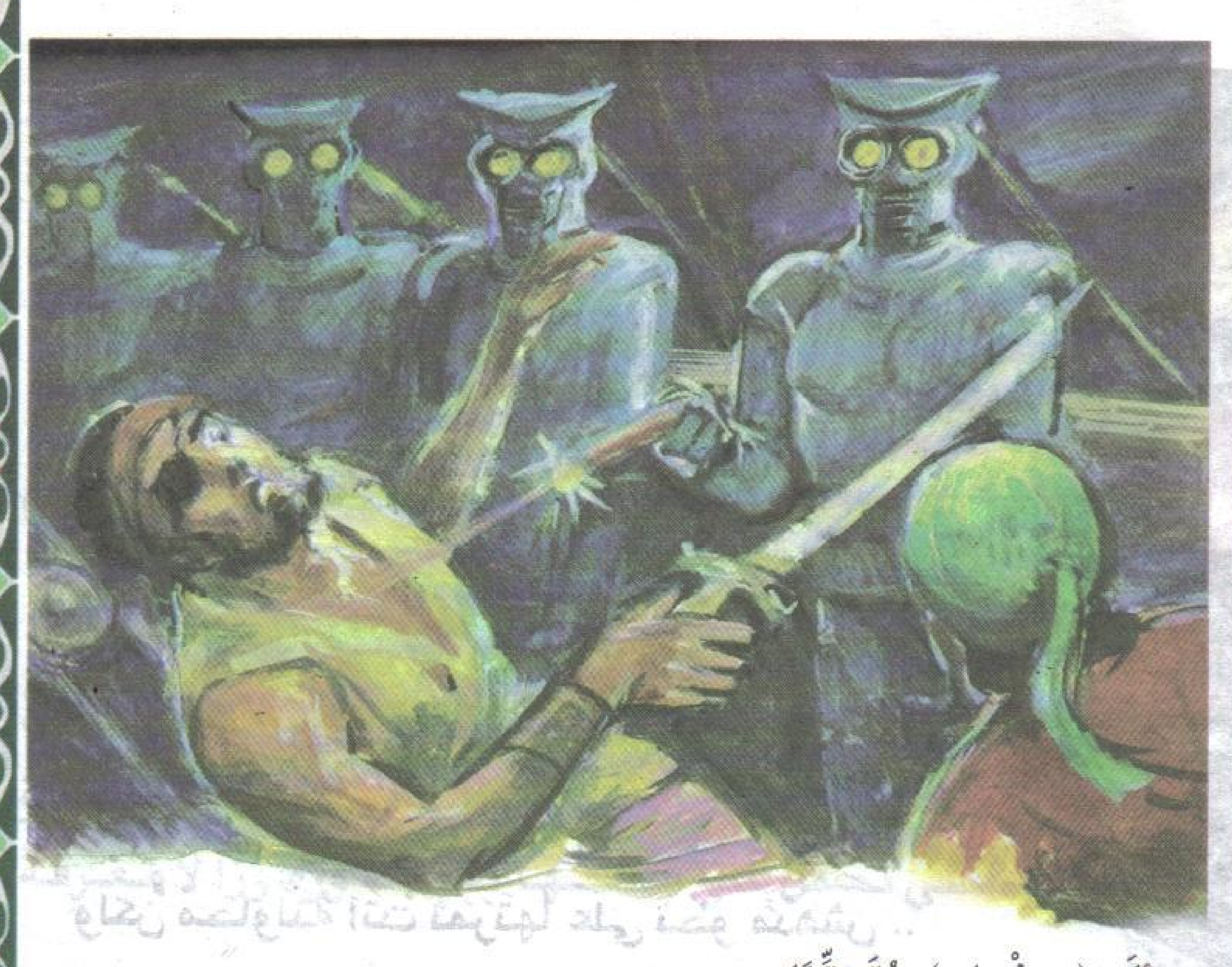
تحطَّمَ السَّيْفُ على الدِّرْعِ القوىِّ ، فتراجَع البحَّارُ فى دهْشَةٍ ، وصوَّبَ المعْدِنِىُّ عصَاهُ نحْوَهُ ، دونَ أنْ ينطقَ شيْئًا ، فانْطلقَتْ منْ رأسِها المتألِّقِ صاعِقةٌ صغيرةٌ ، لمْ تكدْ تصيبُ الرجُل ، حتى انْتفَضَ جَسَدُهُ فى عُنْف ، ثمَّ هَوَى فاقِدَ الوَعْى ..

ومعَ الاضْطِرابِ الشَّديدِ ، الذى سَادَ الْمكَانَ ، راحَتِ الرُّءُوسُ المتألِّقَةُ للْعِصِىِّ تُطْلِقُ صَوَاعِقَها ، وتُصيبُ بحَّارًا تِلْوَ الآخَرِ ، فهتَفَ (صفوان) :

- ماذا نفْعلُ يا (سندباد) ؟ دقَائِقُ ويسْقُطُ الْجميعُ أمَامَهُمْ .

أجابَهُ (سندباد) فى حَزْم :

- لَدَىَّ فكْرَةٌ مَحدُودَةٌ ، لَوْ صَحَّتْ ، نكونُ قدْ وقَعْنا على نُقْطةِ ضعْفِ هؤُلاءِ القراصِنَةِ يا (صَفْوان) .



سألَه (صفْوان) مُتَوتِّرًا :

ـ ما هِىَ يا (سندباد) ؟!

أشَارَ (سندباد) إلى الخيْطِ الرَّفيعِ ، الذى يَرْبطُ الرِّجالَ بِسَفِينَتهِمْ ، وهو يقولُ فى اهْتِمام :

ـ أعتقدُ أنَّ هذا الشيْءَ يَمُدُّهُم بالقُدْرةِ على قِتالنا بهذه القُوَّةِ ، ولوْ أننا نجحْنَا فى فَصْله عنْهم ، فَرُبَّما ..

قاطعهُ (صفوان) فى حَمَاسٍ :

ـ فربَّما سَقَطوا .. ولِمَ لا ؟ أفْكارُكَ دائمًا رائِعَةٌ يا (سندباد) ، ولا ينقُصُها إلا أنْ نَضَعَها مَوْضعَ التَّنْفيذِ .

قالها ، وانْدَفَع نحوَ الخَيطِ الرفيع الذى يَرْبِطُ أحَدَ القَراصِنَةِ بسَفينَتِهِمْ ، وهَوَى علَيْهِ ، وهو يَهْتفُ فى انْفِعال :

ـ هيَّا .. أثْبِتُوا لنا أنَّ (سندباد) عَلَى حَقٍّ .

ولكنْ لمْ يكدْ سَيْفُهُ يَلمِسُ ذلكَ الخَيْطَ الرَّفيعَ ، حتى انتَفَضَ جَسَدُه كُلُّه فى عُنْفٍ شَديدٍ ، وهو يُطْلقُ صَرْخَةً عظيمةً ، قبْلَ أنْ يَسْقُطَ أرْضًا ..



ولكنَّ محاولَتَهُ آتَتْ ثَمرَتَها على نَحْوٍ مُدْهِشٍ ..

لقدِ انقطعَ الخيطُ الرَّفيعُ ، فانطفأَتْ عَيْنَا القُرْصانِ الْمَعْدِنِيِّ بَغْتَةً ، وخَبَا البَريقُ فى رأسِ عصاهُ ، ثمّ تراخَتْ أَطْرافُهُ ، وهَوَى أرْضًا ككُتلَةٍ منَ الحجرِ ، إلى جِوارِ (صفوان) .. وعلى الرَّغْمِ منْ سُقُوطِ صَديقهِ ورفيقِ كِفَاحِهِ ، إلاَّ أَنَّ مَسْئوليَّةَ القِيادةِ لَدَى (سندباد) جَعَلَتْهُ يَهْتِفُ فى حَزْمٍ :

- حاصِروهُمْ يا رِجَالُ .. اقْطَعُوا تِلْكَ الْخُيُوطَ الرَّفيَعةَ .

انْقَضَّ منْ تبقَّى منَ البَحَّارة على القَراصِنَة الْمَعْدِنيِّينَ الثَّلاثَة ، فى مُحَاولَةٍ لِقَطْعِ تِلْكَ الخُيُوطِ الرَّفيعةِ ، التى تَصِلُهُمْ بسَفِينَتِهم ، على الرَّغْمِ مِمَّا أصَابَ (صفوان) أمامَ أَعْيُنِهِمْ ، عِنْدما فعلَ هذا ..

ولكنَّ القَراصِنَةَ الثَّلاثَةَ قاتَلُوا بِعُنْفٍ أَكْبَرَ ، لِمَنْعِ البحَّارة من بُلُوغ تلْكَ الْخيُوطِ الرَّفيعَةِ ، ممَّا أكَّد للقُبْطان (سندباد) صِحَّةَ رأْيهِ ، فَغَمْغَمَ فى حَزْمٍ :

- إذَنْ فهذهِ نُقطَةُ ضَعْفِكُمْ بالْفِعْلِ .

وتابعَ ببَصَرِه تلكَ الخيوطَ ، التى انتهتْ فى قَلْبِ السَّفِينَةِ المعدِنِيَّةِ ، حَيْثُ هبطَتْ عَبْرَ فجْوَةٍ كبيرةٍ فى سَطْحِها ، ثمَّ وثبَ يتعلَّقُ بأحَدِ أحْبال السَّفينةِ ، وتركَهُ يَدْفَعُهُ نحو السَّفينةِ المعْدِنيَّةِ ، قبلَ أنْ يُفْلِتَهُ ، ويقفِزَ على سَطْحها ..

وكان أغْرَبُ سطحِ سَفينةٍ هَبطَ فوقَهُ فى حَيَاتِه ..

كان مَصْنُوعًا من قِطْعَةٍ واحدةٍ منَ المعْدِنِ ، باسْتِثْنَاءِ الفَجْوَةِ ، التى تخْرُجُ منها الخُيُوطُ الرَّفيعةُ ، التى تصِلُ السَّفِينَةَ بالْمُقَاتلينَ المعْدِنيينَ ..

وبِدُون تردُّدٍ ، حملَ (سندباد) سَيْفَهُ ، ووَثبَ عَبْرَ الفَجْوَةِ ..

كان يتوقَّعُ وُجودَ عددٍ منَ المقاتِلينَ داخِلَ السَّفِينَةِ ، ولكنَّها كانتْ - لِدَهْشَتِهِ - خاليةً إلاَّ مِنْ عددٍ منَ الأزْرارِ والشَّاشَاتِ الزُّجَاجيَّةِ الْمُضيئةِ ، التى تحملُ على سَطْحِها نُقوشًا ورُموزًا لا مَعْرِفَةَ لهُ بها ..

أمَّا تلكَ الخيوطُ الرفيعةُ ، فكانَتْ تمتدُّ عَبْرَ جَوْفِ السَّفينةِ ، حتى تَصِلَ إلى كُرَةٍ كبيرةٍ ، تدورُ حَوْلَ نَفْسِها فى بُطْءٍ ، وتتألَّقُ بضوءٍ بنفسجيٍّ هادِئٍ ..

ودارتْ عَيْنا (سندباد) فيما حَوْله ، وقدِ امتلأتْ نفسُهُ بمزيجٍ عَجيبٍ ، منَ الرَّهْبةِ ، والخوفِ ، والدَّهْشةِ ، والحَيْرةِ ، والحذَرِ ، والقَلَقِ ، والارْتِيابِ ..

كانَ ما يراهُ حَوْله شيْئًا لم يَحْلُمْ حتَّى بوُجُودِ مِثْلِهِ ..

إنَّهُ أشْبَهُ بكابُوس رَهيب ، يَسْجُدُ الْمَرءُ لِلّه شاكرًا ، إذا ما اسْتَيْقَظَ مِنْهُ ..

و (سندباد) يعلَمُ أنَّه هُنَاك كابُوسٌ آخَرُ خارِجَ السَّفِينَةِ ..

كابُوسٌ يصْنعُه الْمُقَاتِلون المعْدِنِيُّون ، الذين يُهاجمون بحَّارَة سَفينَتِهِ ..

ولمْ يكنْ هُنَاكَ مجالٌ للتَّرَدُّدِ أو الخوْفِ ..

لابُدَّ أنْ يقْطَعَ (سندباد) الخيوطَ الرَّفيعَةَ ، أوْ يلْقَى بحَّارَتُهُ نفْسَ مَصيرِ بحَّارةِ السَّفينَةِ الأُخْرَى ..

وفى حَزْم ، رفَع (سندباد) سَيْفَهُ ، وهَوَى به على الخيُوطِ الرَّفيعةِ ..

وكانَتِ الصَّدْمَةُ عَنِيفَةً بِحَقٍّ ..

لقدْ شعرَ وكأنَّ صاعِقَةً هائِلةً قد هَوَتْ على رأْسِه ، وانْتزَعَتْهُ مِنْ مكانِه ، لِيَرْتَدَّ إلى الخلْف فى عُنْفٍ ، ويرْتَطِمَ بالشَّاشاتِ المضيئَةِ ، التى تحطَّمَتْ بِدَوِىٍّ قوِىٍّ ، وأطلَقَتْ وَمِيضًا عنيفًا ، اخْتَرق كِيانه كُلَّهُ ، قبْلَ أنْ يسْقُطَ فوْقَ لَوْحَةِ أزْرارٍ كبيرة ، ويحَطِّمَها أيْضًا ، وأَزِيزٌ قَوِىٌّ يَمْلأُ المَكانَ ..

وقبْل أنْ يفْقِدَ وَعْيَهُ بلَحْظةٍ واحِدةٍ ، لمحَ (سندباد) أُناسًا ينْدفِعون نَحْوَهُ ، ثم ..

ثم هوى فاقِدَ الوَعْى ..

أمّا على السَّفينةِ ، فقدْ هَوَى القراصِنَةُ الثَّلاثَةُ الباقُونَ فجْأَةً ، أمامَ أعيُنِ البحَّارةِ ، فاتَّسعَتْ عَيْنا بحَّار السَّفينةِ الأُخْرى ، وهو يَهتفُ فى سعادَةٍ :

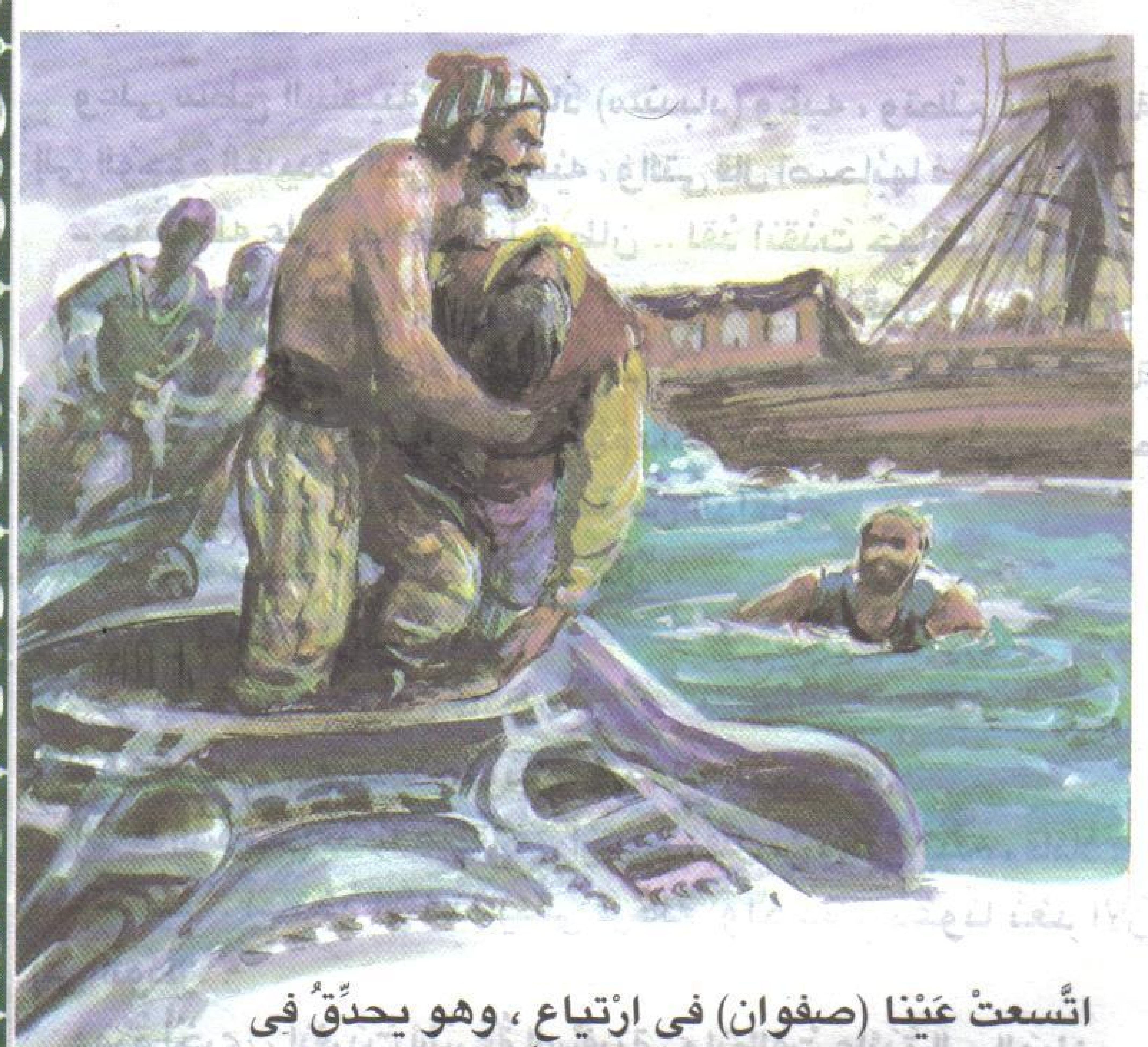
لقدْ سَقَطُوا .. القراصِنَةُ سَقَطُوا .. فَعَلَها الْقُبطان (سندباد) .. فَعَلَها وانتصرَ على القراصِنَةِ الْمَعدنِيِّين .

استعاد (صفوان) وَعْيَهُ فى هذه اللَّحظةِ ، وسمعَ هُتَافَ الرَّجُلِ ، فسألَ مُتوتِّرًا :

- أيْنَ القبطان (سندباد) ؟

أشارَ أحدُ البحَّارةِ إلى السَّفِينَةِ المعْدِنِيَّةِ ، هاتفًا :

- هُنَاكَ .. لقدِ اخْتَفى داخِلَ السَّفينةِ ، وهزَمَ القراصِنَةَ منْ هُنَاك .



اتَّسعتْ عَيْنا (صفوان) فى ارْتياع ، وهو يحدِّقُ فى السَّفينةِ المعدنيَّةِ ، التى بدأتْ تَغُوصُ فى البحْرِ فى بُطْءٍ ، وهَتَف :

ـ ربَّاه ! (سندباد) داخِلَها ، وسَيلْقَى مصرَعَهُ معها .

واندفعَ نَحْوَ حاجزِ السَّفينة ، صَارخًا :

ـ أنا قادمٌ إليك يا (سندباد) .

وقفزَ إلى البحرِ ، وراحَ يسبحُ نحوَ السَّفينةِ المعدنيَّةِ ، هاتفًا فى أَعْماقِه :

ـ ربَّاهُ ! ساعِدْنى لأصلَ فى الوَقْتِ الْمُناسِبِ .. سَاعدْنِى لأُنْقِذَ صديقى (سندباد) ، قَبْلَ أنْ ..

لمْ يكُنْ قدْ أتَمَّ عبارَتَهُ بعْدُ ، عندما اتَّسعَتْ عَيْناهُ فى دهْشَةٍ ، معَ مَرْأى (سندباد) ، وقد حَملهُ رجُلٌ خارجَ السَّفِينَةِ ، ثمَّ تَبعَهُ عددٌ من الرِّجالِ ، راحوا يقْفِزُونَ فى الماء ، ويسْبَحون مُبْتعدينَ عنِ السَّفينةِ المعْدِنيَّةِ ، التى واصَلَتْ غوْصَهَا ، وتدفَّقَتِ المياهُ داخِلهَا ، عَبْرَ فَجْوَتها العُلْويَّةِ ، حتى اختفتْ فى أعْماقِ البحْرِ ..

وعلى سَطْح السَّفينةِ ، اسْتَعادَ (سندباد) وَعْيه ، وتطلَّعَ فى دهْشَةٍ إلى الوُجوهِ العَدِيدةِ ، التى تُطِلُّ عليْه ، والتى قال أصحابُها فى آنٍ واحدٍ :

- حمدًا للّه على سلامَتِكَ يا قُبطان .. لقدْ أنقذْتَ حَياتَنَا جميعًا .

ثم ظَهَرَ وجْهُ (صفوان) بيْنَ هذهِ الوُجُوه ، وهوَ يقولُ فى حَمَاسٍ :

- مَرْحَى يا (سندباد) .. هلْ تعرفُ هَؤُلاءِ ؟ إنهُمْ بحَّارَةُ السَّفينَةِ الغَارِقَةِ .. كانَ القراصِنَةُ يسْجنُونَهُمْ داخلَ سَفِينَتهِم ، حتَّى حَرَّرْتَهم أَنت ، بتَدْمير تلكَ السَّفينةِ العَجيبَةِ منَ الدَّاخلِ .

نهضَ (سندباد) واقفًا ، وهو يسْأَلُ :

- وأيْنَ ذهَبَ القراصِنَةُ ؟

غمز (صفوان) بعَيْنِه ، قائلاً :

- فى المكانِ الذى يسْتَحقُّونَهُ .. فى قاعِ البَحْرِ .

التقطَ (سندباد) نَفَسًا عميقًا فى ارْتياح ، قَبلَ أن يُشيرَ بيده ، قائلاً :

- عظيمٌ .. أَعْتَقِدُ أنَّ هذا يكفى لرِحْلَةٍ واحدَةٍ .. دَعُونا نَعُدِ الآنَ إلى الوطن .

ومَرَّةً أُخرى ، انفردَتْ أشْرِعَةُ السَّفينةِ ، وانطلقَتْ عائدَةً إلى الوَطنِ .. وإلى شاطئِ الأمانِ .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع ٢٩٢٠٠ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى ٢٦٦ - ٢٦٦ - ٩٧٧



هذه السلسلة تقدّم لك مغامرات جديدة ، من طراز خاص وفريد ..

إنها ليست رحلات (سندباد) السبع الشهيرة ، التى طالعتك من قبل ، فى (ألف ليلة وليلة) ..

إنها رحلات (سندباد) جديد ..

(سندباد) عصرى ، يمتزج فى مغامراته الخيال العلمى ، وروح الأساطير ، وعبق التاريخ ..

وفى كل مرة ستخوض مع (سندباد) وسفينته مغامرة جديدة .. ورحلة جديدة ..

وفى كل مرة سيحيط بك خليط من الغموض والإثارة والإبهار والحركة ..

هذا لأنها ليست رحلات عادية ..

إنها رحلات (سندباد) ..

(سندباد) الجديد .

